

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الشهادتان

اشهدان لا إله إلا الله
وأن محمدا عبده ورسوله

فضيلة الشيخ محمد الفزالي

الطبعة الثانية

القاهرة

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

Ch
297.34

غزا
ش

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الشهاديات التوحيد و النبوة

الشيخ

محمد الغزالي

الطبعة الثانية
القاهرة
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

بسم الرحمن الرحيم

الشهادتان

لا اله الا الله .. محمد رسول الله

النطق بهما ، ثم التعرف على ماتدلان عليه هو أولى معالم الطريق الى دخول الانسان فى دين الله .. الاسلام ولأن « الشهادتين » ليستا سوى كلمات فقد كان من الضرورى والمفيد معاً أن يتولى الراسخون فى العلم شرح مضمونها وتعريف من ينطقهما بما تدلان عليه .

وقد كانت الكلمتان على بساطتهما وقلة الفاظهما مثار جدل طويل وتدافع لم ينقطع بعد بين دعاة الفكر المادى الذين ينكرون أن للكون الها خلق فسوى وقدر فهدى والذين يزعمون أن الوجود أنشأ نفسه أو قام على « الصدفة » وبين دعاة الايمان الذين استقامت فطرتهم فشعروا بهديها أن لهذا الكون خالفا أعظم أحكم صنعه وتديره ، ثم كانت رسائل السماء وفى قمته الرسالة الخاتمة بالقرآن الكريم مدداً ربانيا علمهم مالم يكونوا يعلمون ووضع بين أيديهم من دلائل وجود الخالق وتفرد بالهيمنة المقتدرة على الكون كله مافيه ومن فيه فأدركوا وعلموا واستيقنوا فآمنوا ، ولم يلبثوا ايمانهم بشك ولا ريبة

وهذا الكتاب الذى يقدمه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بجمهورية مصر العربية انما هو دليل من أدلة الفقه الصحيح لقضية التوحيد تعرض فى بساطة رائعة بساطة العقيدة الدينية كما يراها الاسلام بعيداً عن جحود « الماديين » وتعقيدات المتشددين ، نرجو أن يكون فيها التصور السهل لهذه القضية التى عقدها المحدثون والمتفلسفون ، بينما أدركها البدوى بقطرته حين نظر فى « الخلق » فقال « كل الخلق لابد لهم من خالق » .

والله ولى التوفيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

لَقَدْ جَاءَكَ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكَ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ .

« صدق الله العظيم »

الله

هذا الاسم الكريم علم على الذات المقدسة التي تؤمن بها. ونعمل
لها ، ونعرف أن منها حياتنا واليها مصيرنا .

والله - تبارك وتعالى - أهل الحمد والمجد ، وأهل التقوى
والغفرة . لا نحصى عليه ثناء ، ولا نبلغ حقه توقيرا واجلالا .

لو أن البشر منذ كتب لهم تاريخ ، وإلى أن تمهد لهم على ظهر
الأرض حركة - نسوا الله وكفروا به ، ما خدش ذلك شيئا من
جلاله ، ولا نقص ذرة من سلطانه ، ولا كف شعاعا من ضيائه ، ولا
غص بريقا من كبريائه ، فهو - سبحانه - أغنى بحوله وطوله ،
وأعظم بذاته وصفاته ، وأوسع في ملكوته وجبروته من أن ينال منه
وهم واهم ، أو جهل جاهل .

ولئن كنا في عصر عكف على هواه ، وذهل عن أخراه ، وتنكر
لربه فإن ضير ذلك يقع على أم رأسه ، ولن يضر الله شيئا .

((ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان
مريد . كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضلله ويهديه إلى عذاب
السعير)) .

الألوهية فى القرآن

والحديث عن الله - تباركت أسماؤه - يتخذ فى القرآن أسلوبا قريبا من الفطرة ، سريعا الى العقل ، بعيدا عن الغموض والتعقيد ، مفعما بالوضوح والاشراق .

وهذا الحديث يقوم على تعريف الله لخلقه بأوصافه وأفعاله :

- الله خالق كل شىء .
- الله نور السموات والأرض .
- الله على كل شىء قدير .
- له مقاليد السموات والأرض .
- له ما سكن فى الليل والنهار .
- له الخلق والأمر .
- ان الله كان سميعا بصيرا .
- ان الله كان على كل شىء حسيبا .
- ان الله كان بما تعملون خبيرا .

وفى اثناء هذا التعريف السهل اليسير تجد القرآن ينفى أوهاما علقت بأذهان الجاهلين عن حقيقة الألوهية ، وهى أوهام لا سند لها من العقل المجرد ، ولا من الوحي الأعلى .

لقد خرقتها القاصرون دون وعى ، وقبلها المقصرون دون نقد . ثم شاعت بين الجماهير على انها عقائد دين ، وهى ليست الا خرافات خابطين ، وظنون مقلدين .

فعند البعض ان لله بنات يشاركنه الالومية ، وعند بعض انه انجب ابنا وحيدا كما يقول النصارى ، او عدة ابناء كما غيرهم ، كلهم آلهة او ابناء آلهة « . . وخرقوا له بنين وبنات علم سبحانه وتعالى عما يصفون . بديع السموات والأرض تون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء ذكلم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على شيء وكيل » .

اثبات الوحدانية

وقد طال فى القرآن الكريم الكلام فى اثبات الوحدانية ، ودفع نائبة تنسب الشركة الى الالهية ، وأطرد حجاج الاسلام هذه القضية ، حتى عداها قضيته الأولى .

ولا جرم أنها أساس الاسلام ولواؤه ، ومادة القرآن ورواؤه . لم يوقن بأن العالم كله من فيه وما فيه من المستقدمين متأخرين عبيد لله ، خلقهم بقدرته ، ولو شاء ما خلقهم . ورباهم ته ، ولو شاء لتركهم ، ورفع من شاء بفضله ، ولو شاء لبعه .

وشىء آخر ينضح به الحديث عن الالهية فى القرآن - وهو الحقيقة جزء من عقيدة التوحيد - ان الخالق غير المخلوق ، وأن غير العالم ، وأنه لا مجال لفكرة الحلول البتة فى تعاليم الاسلام .

وفكرة حلول الله فى هذا العالم أو فى جزء منه سخافة هندية مة ، لو ظلت هندية فقط لماتت فى موضعها من تلقاء نفسها ، مات كثير من أفكار الهنود .

يبد أنها انتقلت الى بعض الاديان ، فقدرت لها حياة جديدة

فكرة الحلول :

قرأت فى مقرر الفلسفة لطلبة جامعة عين شمس كلية الآداب تحت عنوان « مشكلة الله » مايتى .

الحق أن هناك تصورين مختلفين لحقيقة الله تقدمهما لنا الأديان .. فبعض الأديان تتصور الله على أنه موجود وجودا متعاليا على هذا الكون غير باطن فيه ، والبعض الآخر يتصوره على أنه مباطن للكون والانسان معا ، والاسلام هو صاحب التصور الأول لله ، أما المسيحية : فهى صاحبة التصور الأخير .

الله فى الاسلام « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » .

يقول الغزالى : مستو على العرش استواء منزه عن المماسمة والاستقرار ، بائن عن خلقه بصفاته ، مقدس عن التغير والانتقال ،

أما اله المسيحية : فهو اله باطن فى الكون ممتزج بهذى الحياة ، يقول انجيل يوحنا : « أنى أنا حى فأنتم ستحيون . فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى ، وأنتم فى ، وأنا فيكم » .

وتصور المسيحيين لله ، لا يتم الا بنزوله الى مملكة الأرض فى لحظة مختارة من الزمان ، وحلوله فى الناسوت فى صورة المسيح عيسى . وهذا لا يتم الا بحضور الله فى الطبيعة ، وباخضاع حركتها لحركته وبحلوله فضلا عن ذلك فى الجسد البشرى وامتزاجه بالدم الإنسانى ..

وغنى عن البيان ان الاسلام يعتبر هذا الكلام أخيلة سقيمة . وينزه العقل البشرى عن قوله وعن قبوله ، ويقصيه اقضاء تاما عن مجال النظر بأنه مجال الاعتقاد .

والكلام عن تسبيح الله وتحميده ، وتنزيهه وتوحيده ، إنما يجيء عقب الاعتراف بوجوده .

ولما كان وجود الله بديهية ينساق اليها العقل كما ينساق التيار الى قراره ، فان القرآن الكريم لم يكثرث بشبهات الملحدين اكثرث من يحارب في معركة عنيفة المقاومة ، بل تصدى لدحض هذه الشبهة كما يتصدى الفيلسوف لتعليم صبيته ، ومسح ماعلى اذهانهم من غشاوة .

والواقع ان الكافرين بالله يقعون في متناقضات عقلية تصرخ بشدة الغباء ، أو شدة الجمود .

هل العالم وجد صدفة ؟

فهم يزعمون أن هذا العالم وجدت مادته صدفة ، ودبت الحياة فيها صدفة ، وتماسك نظامها صدفة .

ولو قلت لأحدهم : أن طيارة تجمعت آلاتها ، ودارت محركاتها وانسكب البنزين في خزاناتها ، وصعدت في الجو ثم انطلقت في الفضاء ، كل ذلك من غير جهد انسان ، ولا تدخل أحد أبدا . . لنسبك الى الهزل أو الجنون .

ومع ذلك فهو يريد ان يقول لنا أن القمر مثلا يجري في الفضاء من تلقاء نفسه لا تحمله قدرة ، ولا تسيره ارادة ، ثم يطلب منا باسم العقل أن نصدق هذا الهزل أو هذا الحمق .

والكافرون بالله هم أولئك الذين شبههم القرآن بالعجاوات وبالذئاب الصم والبكم الذين لا يعقلون من الذين يشرثون بالعلم ، ولا مكان لهم فيه ، ولا جدوى لهم منه .

وقد تنبعت حصيلة هؤلاء من الثروة العلمية ، خصوصاً ملاحظة مصر ، فوجدتهم يكفرون على صيت تقدم العلم فى أوروبا وأمريكا .

وقد ترسل لنا مصانع الغرب مرصدا لمشاهدة النجوم فيجىء أولئك لينظروا ثم يصيحوا على أثر المشاهدة : كفرنا بالله رب العالمين .

وقد تطير روسيا قمرا صناعيا بذل العلماء هناك فى ضبطه وتجهيزه وتزويده ما يضنى العقول ، وما يدل على أن تطيير القمر الطبيعى يستحيل أن يجيء خبط عشواء ، ومع ذلك يتفرج نفر من الصحفيين منا على هذه المشاهدة ثم يصيحون : ثبت انه لا اله .
وصدق الله العظيم : ((ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)) .

وجود الله

وجود الله تعالى من البداهات التى يدركها الانسان بفطرته ، ويهتدى اليها بطبيعته وليس من مسائل العلوم المعقدة ، ولا من حقائق التفكير العويصة .

ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقترب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ، ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد .

((أفى الله شك فاطر السموات والأرض)) .

وقد جاءت الرسل لتصحيح فكرة الناس عن الألوهية .

فأنهم وأن عرفوا الله بطبيعتهم الا أنهم أخطأوا فى الاشراف به ، والفهم عنه .

« هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد » .

« فأعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك » .

والبيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة ، فهي تمسخها وتشرد بها ، وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيخ الفج .

وذاك سر انصراف فريق من الناس عن الايمان والصلاح ، وقبولهم للكفر والشرك ! مع منافاة ذلك لمنطق العقل وضرورات الفكر واصل الخلقة .

« وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمتم عليهم ما حللت لهم » .

وقد اقترنت حضارة الغرب – التى تسود العالم اليوم – بنزوع حاد الى المماراة فى وجود الله ، والنظر الى الأديان جملة نظرة تنقص ، أو قبولها كمسكنات اجتماعية لانصارها والعاطفين عليها .

ولاشك ان المحنة التى يعانىها العالم الآن أزمة روحية ، منشؤها كفره بالمثل العليا التى جاء بها الدين – من الحق والانصاف والتسامح والأخاء – فلا نجاة له مما يرتكس فيه الا بالعودة الى هذه المثل ، يهتدى اليها بفطرته ، كما يهتدى سبيله الجنين فى ولادته ، والفرخ فى بيضته !

ومتى هدى العالم الى الفطرة ، هدى الى الاسلام ، فان الاسلام هو دين الفطرة والاسلام يقوم – بداهة – على التصديق بوجود الله ويعد الايمان به محور شرائعه .

وفى القرآن الكريم عشرات الأدلة التى ترسخ فى العقل والضمير هذه الحقيقة ، وتجعل المسلم يحيا فى نطاق من الشعور

التمام بها . ولأحد العلماء كلام لطيف في حصر الفروض الخاصة بهذا الموضوع نوجزها هنا .

قال : انه احتمال واحد من أربعة احتمالات لا خامس لها . .

الأول : أن يكون الوجود كله وهما : سواء في ذلك عالمنا المحسوس أو ماوراءه مما يغيّب عنا . . أى أن الأرض التى نمشى فوقها والقاطرات التى نركبها مثلا خيال فى خيال .

وهذا الاحتمال قال به فلاسفة قدامى ومحدثون !

وهو احتمال سخيف ينبغى أن نصرف النظر عنه .

الثانى : أن يكون العالم حقيقة وجدت من تلقاء نفسها بعد عدم محض ، فكانت بعد أن لم تكن دون أى مؤثر خارجى !

وهو احتمال لا يقل سخفا عن سابقه .

والقول به الغاء لقانون الاسباب والمسببات ، وهدم لجميع القواعد التى يقوم عليها العلم ، وتسير بها الحياة .

الثالث : أن يكون العالم مادة قديمة ، ليس لوجودها أول ولا انتهاء ، تنشأ عنها صنوف الخلق بأساليب طويلة المراحل معقدة الشرح !

وهذا الاحتمال يجعل الكون فاعلا ومنفعلا فى وقت واحد !

أو هو ينظر مثلا الى القصر المشيد ، ثم يخلع على جدرانه جميع صفات العبقريّة والدقة والمهارة التى ينبغى أن تنسب الى المهندس ، لا الى الرمل والطين والسقوف والنوافذ .

هذا الاحتمال يتصور الكمال الغير المتناهى ، المتضمن للقسّم الأزلّى ، والبقاء الأبدى ، والحكمة العالية ، والعلم الشامل ، ثم

ينسب هذه الأوصاف مثلا للتراب الذى ندوسه ، أو الهواء الذى نستنشقه ، بوصفهما يخلقان ويعلمان !

والعقل الانسانى اذا ايقن بأن انبات الزرع — على الصورة التى نراها — يحتاج الى توفر صفات معينة ، فان هذه الصفات من قدرة ومشية ، لا يجوز أن تنسب الى الطين والماء .

بل البداهة الاولى توجه هذه النسبة الى كائن غيرهما .. فلم يبق الا الافتراض الرابع .

وهو وجود الله جل شأنه ..

ان هذا الاحتمال العقلى الرابع هو التفسير الوحيد الصحيح لقصة الخليفة او هو .. كما عبر البعض — أجدر هذه الاحتمالات بالقبول والاحترام ..

ومن السخف بمكان ان تحاول اقناعى بأن الجنين فى بطن أمه يتكون تحت اشراف هذه الأم ، أو بمساعدة الأب ، أو بأعمال متعمدة مقصودة من الأجهزة المستكنة بين البطن والصدر ، تولى بعضها صناعة العين ، والآخر صناعة الأذن وهكذا .

لا .. لا .. لا .. ((قل : الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)) .

((ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذى أحسن كل شئ خلقه وبدا خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون)) .

أدلة الوجود

ولا بأس من سوق طائفة من الأدلة التى تفتق الذهن الغافل فيبصر بها ويلتفت لما وراءها .

(أ) ان الانسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلق أولاده . ولم يخلق الأرض التى يدرج فوقها ، ولا السماء التى يعيش تحتها .
والبشر الذين ادعوا الالهية ، لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك .

فمن المقطوع به أن وظيفة الخلق والابرار من العدم لم ينتحلها لنفسه انسان ولا حيوان ولا جماد .

ومن المقطوع به كذلك ، أن شيئاً لا يحدث من تلقاء نفسه . فلم يبق الا الله ! .

وقد قرر القرآن الكريم هذا الدليل :

((أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)) .

ويلفت انظار العرب الى مظاهر الابداع فى المجتمع الساذج الذى يحيون فيه :

((أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت)) .

ويسمى هذا الدليل دليل الابداع .

(ب) لو دخل المرء داراً ، لوجد بها غرفة مهيأة للطعام ، وأخرى للمنام ، وأخرى للنظافة ، وأخرى للضيافة . الخ ، لجزم

بأن هذا الترتيب لم يتم وحده ، وأن هذه الاعداد النافع لابد قد نشأ
عن تقدير وحكمة ، وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل .

والناظر فى الكون وآفاقه ، والمادة وخصائصها ، يعرف أنها
محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة ،
والكيمياء والنبات والحيوان والطب . . . وأفادت منها الناس أجمل
الفوائد .

وما وصل اليه علم الانسان من اسرار العالم ، حاسم فى ابعاد
كل شبهة توهم انه وجد كيفما اتفق .

كلا . ان النظام الدقيق المختفى فى طوايا الذرة مطرد فيما
بين افلاك السماء الرحبة من أبعاد :

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً
منيراً ، وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد
شكوراً » .

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى
الأرض جميعاً منه أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

وفى القرآن الكريم آيات شتى ، تقرر هذا الدليل ، ويسمى
دليل العناية .

(ج) هل فكرت فى هذه السيارات المنطلقة - أعنى هذه
الكواكب التى تخترق أعماق الجو - والتى تلتزم مداراً واحداً
لا تنحرف عنه يميناً ولا يساراً ، وتلتزم سرعة واحدة لا تبطئ فيها
ولا تعجل . ثم نرتقبها فى موعدها المحسوب فلا تختلف عنه
أبداً ؟

ان الكرة تنطلق من اقدام اللاعبين ثم لا تلبث أن تهوى بعد
تحليق .

اما هذه الكرات الغليظة الحجم ، الحى منها والميت . المضى منها
والمعتم فهي معلقة لا تسقط .. سائرة لا تقف !.. كل فى دائرته
لا يعدوها .

وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أصحاب بصر
وعقل .. أما هذه الكواكب التى تزحم الفضاء فأنها لا تزيع ولا
تصطدم .

« والشمس تجرى لستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم .
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس
ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلكه
يسبحون » .

من هيمن على نظامها وأشرف على مدارها ؟ بل من الذى
امسك بأجرامها الهائلة ، ودفعها تجرى بهذه القوة الفائقة ؟
أنها لا تتركز فى علوها الا على دعائم القدرة .. ولا تطير الا
بأجنحة أعارها لها التقدير الأعلى .

« أن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن
أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا » .

أما كلمة الجاذبية فدلالته العلمية كدلالة حرف (س) على
المجهول ، انها رمز لقوانين تصرخ باسم الله ، لكن الصم لا يسمعون ،
ويسمى هذا الدليل دليل الحركة .

(د .) لاشك أن لوجود كل واحد منا بداية معروفة .

فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئا يذكر : « هل أتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » .

وعناصر الكون الذى نعيش فيه كذلك ، لها بداية معروفة

وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها اعمارا محدودة ، مهما طال
فقد كانت قبلها صفرا .

وكان هناك ظن بأن المادة لا تفنى ، اعتمد عليه فريق من الناس
فى القول بقدم العالم وما يتبع هذا القدم الموهوم من أباطيل .

على أن تفجير الذرة هدم هذا الظن ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا
هذا الظن على أنه حقيقة ثابتة . فان المفتاح الذى يفتح على العالم
ابواب الفناء ، ليس من الضرورى ان يضعه الله فى أيدي العلماء .

وعدم اهتمام الناس الى ما يدمر مادة الكون ، لا يعنى ان مادة
الكون غير قابلة للدمار والفناء .

ولم لا يكون ذلك حصانة ، اقامها القدر الأعلى ، حتى يمنع
العالم من الانتحار ؟

اننا جازمون بأن وجودنا محدث لأن تفكيرنا وأحاساسنا
يحدثنا لذلك .

وغير معقول أن يتطور العدم الى وجود تطورا ذاتيا .

انه اذا وقعت حادثة لم يدر فاعلها . . قيل : أن الفاعل مجهول
ولم يقل أحد قط : انه ليس لها فاعل . . فكيف يراد من العقلاء أن
يقطعوا الصلة بين العالم وربّه ؟ اننا لم تكن شيئا فكنّا .

فمن كوّننا ؟ « قل الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » ويسمى
هذا دليل الحدوث .

مقاله علماء الغرب

وقد شرح « لابلاس » دليل الحركة الكونية ، وأبان قوة هذا
الدليل فى حسم الشبهات التى يثيرها الجاحدون فقال :

« أما القدرة الفاطرة فقد عينت جسامه الاجرام الموجودة فى
المنجموعة الشمسية وكثافتها ، وثبتت اقطار مداراتها ، ونظمت

حركاتها بقوانين بسيطة ، ولكنها حكيمة ، وعينت مدة دوران السيارات حول الشمس ، والتتابع حول السيارات بأدق حساب ، بحيث أن هذا النظام المستمر الى ماشاء الله لا يعرؤه خلل .

هذا النظام المستند الى حساب يقصر عقل البشر عن ادراكه والذي يضمن استمرار واستقرار المجموعة ازاء ما لا يعد ولا يحصى من المخاطر المحتملة ، لا يمكن أن يحمل على المصادفات فى نظر « لابلاس » الا باحتمال واحد فى أربعة تريوليونات .

وما أدراك ما أربعة تريوليونات ؟ انه عدد من كلمتين ولكن لا يمكن أن يحصيه المحصى الا اذا لبث خمسين ألف عام ، يعد الأرقام ليلا ونهارا على أن يعد فى كل دقيقة ١٥٠ عددا .

وقال سبنسر :

« اننا مضطرون الى الاعتراف بأن الحادثات مظاهر قدرة مطلقة متعالية عن الادراك . وأن الأديان كانت أول من قبل هذه الحقيقة العلوية ولقنها . ولكنها نشرت أول الأمر ممزوجة بالاباطيل . وسبنسر هذا غير متدين .

وكتب « كميل فلامريون » فى كتاب « الله فى الطبيعة » يقول :
« اذ انتقلنا من ساحة المحسوسات الى الروحانيات . فان الله يتجلى لنا كروح دائم موجود فى حقيقة كل شىء .

ليس هو سلطانا يحكم من فوق السموات ، بل نظام مستتر مهيمن على كافة الموجودات !

ليس مقيما فى جنة مكتظة بالصلحاء والملائكة ! بل ان الفضاء اللانهائى مملوء به .

فهو موجود مستقر فى كل نقطة من الفضاء ، وفى كل لحظة

**من الزمان ، او بتعبير اصح : هو قيوم لانتهائى منزله عن الزمان
والمكان ، والتسلسل والتعاقب .**

ليس كلامى هذا من جملة ماوراء الطبيعة المشكوك فى صحتها .
بل من النتائج القاطعة التى استنبطت من القواعد الثابتة للعلم .
كنسبية الحركة ، وقدم القوانين .

ان النظام العام الحاكم فى الطبيعة ، وآثار الحكمة المشهورة
فى كل شىء ، المنتشرة كنور الفجر وضياء الشفق فى البيئة العامة ،
لاسيما الوحدة التى تتجلى فى قانون التطور الدائم ، تدل على أن
التدرة الالهية المطلقة هى الحواظ المستترة للكون ، هى النظام
الحقيقى ، هى المصدر الاصلى لكافة القوانين الطبيعية وأشكالها
رمظاها . » .

**والفائل فيلسوف ينكر اليهودية والنصرانية ، ولا يعترف
بالاسلام ولكنه يعرف الله الواحد من ادمانه النظر فى العلوم والاكوان ،
وامثاله كثيرون .**

وفكرة هذا العالم عن الالهية تظهر فىنا فلسفة وحدة
الوجود .

وهى فلسفة نددت عن الصواب : وان تعلق بها بعض القدامى
من فلاسفة الهند ، وسرت عدواها الى التصوف الاسلامى .
فشردت به عن الحق ، وعن تعاليم الاسلام .

وافكار اولئك الباحثين ، لو ضببطت بتعاليم الوحي .
ومشت فى هدى الشريعة ، لاستقامت مع ما ذكر القرآن الكريم عن
الله عز وجل من صفات ، ومناسب الى ذاته العظمى من نعوت
الجلال والجمال !

وحسب اولئك - وان لم يعرفوا الحق كاملا - ان لاح منه
بريق فأقروا ولم ينكروا .

ولئن صدقوا ما عرفوا ، فهم أهل للإيمان الصحيح الكامل لو
أتيحت لهم آياته ويسرت لهم رسالاته ، أى لو أتيحت لهم معرفة
الإسلام الصحيح من خلال الكتاب والسنة .

المنكرون لوجود الله

ومع زحمة الوجود بالدلائل المؤيدة لعقيدة الألوهية وانتصاب
الشواهد المتكاثرة فى الآفاق ترشد الناس الى رب العالمين ، فإن
العالم لم يخل من منكرين يجحدون الحق ويكفرون بالله .

وقد استقصينا أقوال هؤلاء فلم نر بها إلا الإنكار المجرد
والعناد السمج .

يقول « يوخنز » عميد العلماء الماديين فى العصر المائى : « من
الممكن أرجاع ظهور الأجرام السماوية وانتشارها وحركاتها الى
أصول بسيطة من الممكنات ، فلا يبقى أذن محل للاعتقاد فى قوة
خالقة مشخصة » .

ويقول : « ان الإنسان محصول المادة وليست له خاصية
فكرية على النحو الذى يصوره الروحانيون » .

ويقول ماضيا - فى إنكار الروح - ومصورا العقل الإنسانى
بصورة مادية - : « ان الكبد والكلتين تفرز مادة مرئية دون أن
نعلم نحن بذلك » .

أما الحركة الدماغية فلن تكون خارج إرادتنا وإدراكنا ، والدماغ
يفرز قوة بدل المادة »

ويقول « بروسيه » - مؤيدا هذا التفسير المادى للروح
والعقل - : « أن الذكاء والحساسية عمل من أعمال الأجهزة

العصبية كما أن تحويل المأكولات الى دم يندفع فى العروق ، عمل
الأجهزة الهضمية والنفسية . . »

وكتبت جريدة طبية مقالة ذكرت فيها أن : الفكر تركيب
يشبه حمض فورميك ! والتفكير تابع للغوسفور !

والفضيلة والصدقة والشجاعة ماهى الا تيارات كهربائية
للأعضاء الانسانية .

هذه هى الصورة التى يقدمها الملحدون للانسانية ومعنوياتها :
وهذه هى أدلتهم على أنكار المادة ، وعلى رفض الايمان بالله العلى
الكبير .

وقد سمينها أدلة تجوزا . والا فأى أمانة على الفهم الصحيح
فى هذا اللغو القبيح ؟

ومتى كان التشكيك والفرض والتوهم أدلة محترمة ؟

**انه من المقطوع به عقلا أن العدم لا يتحول الى وجود ولا يخلق
وجودا .**

فاذا قيل : أن العالم مفتقر فى احداثه الى سبب ، وأن الأحياء
محتاجة فى وجودها الى خالق . قيل : بل يجوز أن يتم ذلك من
تلقاء نفسه .

واذا كانت حركة المرور فى القاهرة - مثلا - تتطلب فرقة من
الجنود لتنظيمها والا لسرت الفوضى فى أرجائها ، فهل يستغرب
القول بقدرة منظمة مشرفة على الألوف المؤلفة من الكواكب السيارة
فى الفضاء ؟

**وهل يعتبر القول بأن المصادفات المحضة هى التى تتولى هذا
التنظيم . . هل يعتبر الا لغوا ومجونا ؟**

ثم ما هذه السخافات الزاعمة بأن الفضائل والذائل اهتزازات كهربائية للأعضاء والأجهزة الجسمية .. لأنه لا روح - كما يقولون

يجيب « كميل فلا مريون » متhekما فيقول : - « ما معنى افراز القوة .. ولم لا يفرز الدماغ كيلو مترات أو فراسخ ؟

ويقول المشير « أحمد عزت باشا » : « من حيث أنه لا روح ولا نفس ناطقة ، فمن الذى يشعر بما تفرزه الحركة الدماغية ؟ ومن الذى لا يشعر بها ؟ وما معنى كلمة « نحن » التى يستعملها ذلك المتكلم ؟ (يوخز السابق) .

يبدو أن ذلك الفيلسوف يقر مرغما - من قبيل انطلاق الحق له - (بأننا) التى ينكرها .

ثم أنهم يقولون : « أن القوة لا تنفصل عن المادة - كما يقررون - فآين مادة القوة التى يفرزها الدماغ ؟ » .

الحق أن الاتحاد الذى يشيع بين طوائف المتحذلقين والمتنطهين لا يستند البتة الى ذرة من المعرفة أو التفكير السليم +

استفتاء

نيويورك - ر - استفتت مجلة « كوليرز » المعروفة ، عددا كبيرا من علماء الذرة ، والفلك ، وعلم الأحياء « البيولوجيسا » والرياضة .

« فأكدوا أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود ، ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى لا حد له » .

يقول الدكتور « راين » انه ثبت من إبحاثه فى المعامل : أن فى الجسم البشرى روحا أو جسما آخر غير منظور .

وقال عالم آخر : « أنه لا يشك في أن الكائن الأعظم - وهو ما تسميه الأديان السماوية « الله » - هو الذي يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من الظواهر والقوانين الخارقة في هذا الوجود » .

نشر هذا التلفزيون الذي أذاعه « روتر » على العالم كله . وقد قرأته كفىرى ، وشعرت بعاطفة من السرور تغمرنى ، لأن أولى العلم وزباب البحث لمسوا - ولا أقول عرفوا - آثار الحقيقة العليا . وبدأ إيمانهم بالله يتركز على أساس من التجربة المادية والاحساس النفسى .

أعرف ما هو الالحد ؟ : أن يسفه المرء نفسه ، ويركب رأسه ، ويغمض عينيه عن كل ما حوله ، ثم يصدر الأحكام جزأفا ، لاتخضع للنطق ، ولا يربطها فكر سليم .

وعندما جاء القرآن الكريم ليأخذ بأيدى الناس الى الحق المبين لم يكلفهم عسرا .

لم يزد أن طلب اليهم فتح أبصارهم على آفاق السماء وفجاج الأرض وخواص الأشياء .

« قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض .. »

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ » .

« أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى » .

فاذا أرسل المرء نظراته الفاحصة يستقضى بها أنباء الوجود ويستكنه أسرار الحياة ، فسيرجع - بعد جولة قريبة - بهذه الحقيقية المشرقة الالامعة .

الحقيقة التي أجملتها الآية الكريمة : **الله خالق كل شيء** وهو على كل شيء وكيل . له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون . قل أغفیر الله تاملوني أعبد أيها الجاهلون ؟

ان للالحاد شبابا ممسوخا في بلادنا ، يعرف قشورا من العلم ، ويتعلق بأوهام لا وزن لها عند أولى الألباب .

تراد يتكلم عن الالهية والدين والوحى فيلوى لسانه بمبارات مستحونة بالفروور والادعاء .

وليس وراءها الا ما يذكر بكقول الله : **« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثانی عطفه ليضل عن سبيل الله »**

الى هؤلاء الشباب ممن يظنون العلم طريق الالحاد ، نسوق اليهم نتائج البحوث التي وصل اليها سادتهم عن اصل الحياة .

صفات الله

وصف الله عز وجل نفسه بصفات كثيرة ، من الصعب أدراك حقيقتها على النحو الذي تدرك به أمورنا المعتادة ، بل هذا مستحيل !

من أين للتافه أن يعرف كنه العظيم ؟

ان الانسان عاجز عن ادراك حقيقة الوجود المادى الذى يعيش فيه . فكيف يعرف ماوراءه من غيوب .

إذا قيل : أن الله يسمع ، فليس سماعه بأذن كآذاننا ، أو يرى ، فليس ذلك بعين كاعيننا ، وإذا قيل : انه بنى السماء ،

فليس على النحو المألوف من بنائنا ، أو يده فوق أيدينا ، فليس
الوصف لجراحة كأعضائنا .

والذى نوقن به ابتداء . أن صفات المحدثين وأحوالهم لا يجوز
أن تنسب الى الله ، فهو — سبحانه وتعالى — غير مخلوقاته .

وشأن الألوهية أسمى مما تتصور الأذهان الكليلة والعقول
القاصرة .

وقد وردت فى الوحي الكريم كلمات عن الوجه واليدين والأعين
والاستواء على العرش والنزول الى السماء والقرب من العباد ...
الخ : حاول كثير من المسلمين استكناه دلالتها واستكشاف
حقيقتها ، فلم يرجعوا الا بالحيرة : حتى قائلهم :

نهاية اقدم العقول عقل وآخر سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا !
وكم من جبال قد علا شرفاتها رجال قبادوا والجبال جبال !

ولا غرو . . فان البحث عبث فيما لا يملك المرء وسائل
الخوض فيه .

ان الكيميائى قد يعرف خواص سائل أو غاز يقلبه تحت يده
ويجرى عليه ماشاء من تجارب . فكيف يجوز للعباد ان يتدخلوا
بالبحث النظرى فى شأن الألوهية لينكروا او ليثبتوا ؟ وشأن الألوهية
بالنسبة اليهم عزيز المنال والحق يقول — فى كلامه عن ذاته
وصفاته — : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن
أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ،
والراسخون فى العلم يقولون : آما به كل من عند ربنا » .

وعلى ذلك فكل ما قطعنا بثبوتيه فى كتاب الله وسنة رسوله مما وصف الله به نفسه وأسندته الى ذاته قبلناه على العين والرأس ،
لا نتعسف له تأويل ولا نقصد به تجسيما ولا تشبيها .

* * *

ولئن كنا نسلك هذا المسلك فى تقديس الذات ونسبة الصفات ،
فنحن لا نحب ان نتخذ منه ذريعة لتكفير من قصدوا الى تنزيه الله
عن طريق التأويل ، وصرف الآثار الواردة الى المجاز لا الى
الحقيقة .

فإن الذين أولوا فعلوا ذلك خفية أن يؤول أمر الألوهية الى
مثل ما عليه اليهود والنصارى ، من تجسيم وأحوال لا تتفق
والتنزيه .

ان التوراة تحكى أن صراعا نشب بين الرب ويعقوب ، لم يفلت
منه الرب الا بصعوبة ، وبعد ما قدم ليعقوب لقبه المعروف
« اسرائيل » !!

وكلام الانجيل عن الله يخيل اليك أنه رب أسرة من ولد
ووالدة !!

فجنوح المؤولين - عندنا - الى المجاز ، قد يكون هنالك ما يعتذر
به عنهم .

بيد أننا لاحظنا أن هذا التنزيه والتأويل والانصراف الدائم عن
الحقيقة الى المجاز قد جنى على أصل الايمان لدى جمهور العامة ،
وجعل فكرتهم غامضة عن اله ، لا هو فى السماء ولا فى الأرض ،
ليست له يد ، ولا عين ، ولا وجه ، لا يوصف بفرح ولا رجسة
ولا ضحكة ، لا ولا ، مما وصف به نفسه .

والخطة المثلى أن نتقبل ماورد به الشرع ، والا نتكلف علم ما لم
نطالب بعلمه مما يدق عن الافهام .

وهناك فرق بين أن يحكم العقل باستحالة شيء وبين أن يعلن
عجزه عن فهم شيء : فالعقل يحكم بأن اجتماع النقيضين
مستحيل .

فالضوء - مثلا - لا يكون موجودا وغير موجود فى وقت واحد
ولكن العقل الذى يحكم باستحالة هذا ، يعجز عن فهم حقيقة الضوء
ما هى ؟ وما كنهها ، وما انتقالها بهذه السرعة الهائلة ؟
وهذا العجز الظاهر لا يمس حقيقة الضوء ، ولا يمس وجودها
نعدم علمك بشيء ليس علما بعدم ذلك الشيء .

القدم

وجود الله سبحانه وتعالى ممتد فى القدم ، بحيث لا يتصور
قبله وجود قط ، وما دام كل وجود قد نشأ عنه ، فالله تعالى
أسبق منه ، ونحن لا نعرف عن الأول شيئا ، اذ عهدنا بالوجود
قد حدث بعد ميلادنا .

عن أبى بن كعب رضى الله عنه : أن المشركين قالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم : أنسب لنا ربك ، فنزل : « قل هو الله أحد ، الله
الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

ان أولئك المشركين نظروا الى الألوهية بعقولهم القاصرة ،
وقاسوا وجودها المطلق على وجودها المحدود ، فتوهموا أن له أولا
وليس الأمر كما يتوهمون ، أن لوجودنا المادى أولا ، لأننا
نحس بذلك ، ونذكره عن يقين ، ونجزم باستحالة غيره .
أمسا الوجود الالهى فقديم لا أول له !



ربما استطاع الانسان ادراك أعراض يسيرة فى بيئته المحدودة،
أعراض تمس يومها الحاضر ، أو أمسها القريب ، أو غدها الموشك

وقد يكون من هذه الأغراض المدركة جملة من المعارف
النافعة ..

ثم تقف بعد ذلك أشعة بصيرته فلا تستطيع حراكا ولا إدراكا .
فاذا كانت تلك حدود قدرته العقلية فى عالم الشهادة ، فلا جرم
أنه يكون فى عالم الغيب أعجز ، وعن فهمه أقصر .
وعقلنا فى قوته المحدودة كبصرنا الذى لا يقرأ الا على أشبار .
فاذا ابتعد الخط عنه مسافة لم يميز منه حرفا .
كذلك لا يستطيع العقل أن يدرك الا فى دائرة وجوده الضيقة :
« وما أوتيتم من العلم قليلا » .

ومن ثم فنحن نؤمن بقدرة الذات الالهية وامتداد هذا القدم فى
اغوار الأزل الذى لانعرف كنهه .

... ذلك وطبيعة الوجود المحدث تقتضى البداية والنهاية . أما
من وجوده من ذاته فحقه أسمى من أن يسبقه أو يطرأ عليه عدم .

البقاء

والله سبحانه باق أبدا ، أنه ليس جسما فيموت ، ولا مادة
فتتحلل وتلدوى ، انه الدائم الثابت الذى يصير اليه كل شيء .

« كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون »

« وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب
عباده خيرا » .

وذو الوجود الخالد المتأبى على الفناء قد يمنح للأخيار من
عباده الخلود فى جنات النعيم .

فهذا الفضل الممنوح لا يعنى أن بشرا أصبح حقيقا بوصف
الباقى والآخر .

فالأمر كما قلنا : أن وجود الله عز وجل واجب له من ذاته
لا ينفك عنه أبدا .

أما ما عداه فهو صفر ان لم تدركه نعمة الوجود المفاض عليه
من الخالق جل علاه .

القدرة

العالم وما فيه من سكون وحركة ، أثر لقدرة الله سبحانه
وتعالى . وليست لشيء ما ، قدرة ذاتية يستمدّها من طبيعته
المجردة .

فاذا رايت البذور تشق التربة وتنمو رويدا رويدا لتستوى
على سوقها فذلك بقدرة الله . .

واذا رايت الأمواج تلطم الشيطان ، رائحة غادية لا تهدأ حتى
تثور : فذلك بقدرة الله .

لا تحسبن شيئا فى الكون قادرا بنفسه .

فكما ان القدرة أبدعته أولا من عدم ، فقد أودعت فيه من
أسرارها وبشت فيه من آثارها ، ما يدل عليها .

وبعض الجاحدين من علماء الطبيعة يردون ما يقع تحت أبصارهم
من هذه الدلائل الباهرة الى مجهول محض ، أو قوى كامنة فى
المواد والعناصر المختلفة .

وهذا تخريف شائن ، وتسفيه للعقل ، ومغالطة للواقع .

ومن المؤسف أن تكون السمة الغالبة على كافة العلوم الطبيعية أنها تقوم على البحث المجرد فى مادة الوجود ، وتعرف حقيقة العلاقات والتطورات والروابط بين شتى العناصر .

وقلما تلتفت الى شىء بعد ذلك ، اذا وفقت الى نتائج معينة فى موضوع بحثها .

وتنتهى اغلب هذه العلوم بمن يدرسونها الى علم جيد بالمخلوقات وجهل مطبق بخالقها ، لأنه لم ترد اليه اشارة ما نرى غضون البحوث الكثيرة المتشعبة .

وهذه - لا ريب - خيانة علمية، فان دراسة هذا الكون العظيم تنفذ الى صميم الفكر الحر بأشعة من الهدى والايمان ، وتجعل الانسان يتطلع - ملء الفؤاد بعواطف الرهبة والرغبة - الى هذا الخالق العظيم .

ان القدرة فى مجالها الواسع لا يعيها شىء البتة ، وآثارها التى نشهدها تدل على طاقة لا تقف عند حدود .

((وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا)) .

الارادة

والله - سبحانه وتعالى - فيما خلق وفيما يخلق ، وفيما يدبر به شئون العالم - كان يصوغ الكائنات فى الأوصاف التى يريد ، ويضفى عليها الأوصاف التى يشاؤها ، ويرزها فى الأوقات التى يختارها ، لا يستكرهه أحد على شىء من ذلك كله .

وما ترى فى الأرض والسماء من تنوع فى الوجود ، وتميز فى السمات هو مظهر الإرادة الحرة فى كافة تعلقاتها .

فما أوجده الله فى هذا العصر كان من حقه الكامل أن يوجده فى الأيام الخالية .

وما جعله الله كوكبا متالفا كان يستطيع جعله جندا باردا .
وتوزيع الصفات والأحجام والأحوال فى أنحاء الكون العريض ليس الا المشيئة العليا لله عز وجل .
ولو أراد أن يخلق العالم الذى نعيش فيه على نحو آخر فى قرآنينه وأنظمتيه وأحيائه وأشياءه كلها لفعل .

وانك لترى انطلاق المشيئة دون أى عائق فى اخراجها للأصناف المختلفة من الأصل الواحد !

فالحقول المتجاورة تختلف محصولاتها كما وكيفا .
والبذور المتجانسة تتفاوت فروعها حلاوة وحموضة ولونا ووزنا فى النباتات ، ولؤلؤا ونبلا وذكاء وبلادة فى الانسان والحيوان .

« وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك آيات لقوم يعقلون » .

وقديما استدل الأئمة على عظمة الإرادة - فى هذا المعنى - بأنحل يأكل من ورق الشجر فيحوله شهذا ، ويأكل منه الدود فيحوله حريرا ، وتأكل منه أطيوار أخرى فتحوله قدرا .

وإذا اتجهت الإرادة الى شئ فيستحيل أن يتخلف أثرها .
« ان ربك فعال لما يريد » « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

فأرادة الله نافذة في السماء والأرض ، لاراد لها ولا معقب عليها
« وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » .

الحياة

مراتب الوجود تختلف رفعة وضة .

فالجماذ انزل رتبة من النبات ، والحيوان أعلى درجسة من
النبات والوجود الانسانى ارقى من انواع الوجود الأخرى .

واتصاف الله سبحانه وتعالى بالحياة : معناه ان وجوده بلغ الغاية
فى عظمتة وآثاره ، فهو موجود ، ويعرف أنه موجود ، وهو يهب
الوجود لغيره عن ادراك واختيار ، ومن ثم فهو حى .

ان بعض الفلاسفة الذين يقولون بأن العالم معلول فى وجوده
بغيره ، ويسمون الخالق علة العلل او مبدأ الوجود ، يعطون صورة
مبهمة عن هذا الوجود الأعلى .

حتى لتحسب ان صدور الكائنات عن بارئها الأعظم يشببه
التفاعلات الكيماوية التى لا روح فيها ولا حياة معها ، وهذا ضلال .

فدلائل الحياة الكاملة تنبثق من الذات العليا انبثاقا يتصاعل
امامه كل ما نعرف من صنوف الحياة ودرجاتها المختلفة .

اطلق لخيالك العنان ، وتصور كل ما تنتجه الأيدى « الحية »
من أعمال ، وما تنشئه العقول « الحية » من أفكار ، وما تهتز به
الأفئدة « الحية » من مشاعر .

واجعل هذا الخيال يضم أشتات ذلك من مشارق الأرض ومغاربها
ويستجمع ما حدث فى الأعصار الخالية وما يحدث اليوم وما
سوف يحدث غدا ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ان مظاهر هذه الحياة المفعمة بالقوة والانتاج ، لا تعد شيئاً
مذكوراً بالنسبة الى الحياة الالهية الواسعة ، بل هى أثر ضئيل من
أعمال الحى الذى لا يموت : الحى الذى ينفخ من روحه فى الموات
فيهتز ، وفى الجماد فيتحرك .

**« ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت
من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون » (« الله لا اله الا هو الحى القيوم ») .**

العلم

الله تعالى عليم بكل شىء ، لم يسبق معرفته جهل ، ولا يعدو
عليها نسيان ولا يمكن أن تخالف الواقع .

وعلمه محيط بالأمس واليوم والغد : بالظاهر والباطن :
بالدنيا والآخرة .

**« قال فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربى فى كتاب
لا يضل ربى ولا ينسى » .**

انه علم يشرق على كل شىء ، فيجلى بواطنه وخوافيه ، ويكشف
بداياته ونهاياته ، ويكتنه ذاته وصفاته .

**فالمشهود والغيب لديه سواء ، والتقريب والبعيد والقاصى
والدانى .**

**« اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل
من أنثى ولا تضع الا بعلمه » .**

والعلم الالهى يشرف على كل شىء اشرافاً تاماً ، ويهيمن على
أطوار الموجودات — ما يحس منها وما يتوهم — هيمنة كاملة .

فعدد ما فى صحارى الأرض من رمال ، وعدد ما فى بحار
الدنيا من قطرات وعدد ما فى الأشجار من ورقات ، وعدد ما فى
الأنصاف من ثمار . وما فى السنابل من حبوب ، وما فى رؤوس
أشجار وجلودهم من شعر .

ثم ما يمكن أن يطرأ على هذه الأعداد الكثيرة من احوال شتى .
وما تحتاجه فى وجودها من قوة متجددة ، وما يعثر بها من أوصاف
متغيرة ذلك كله يستوعبه شعاع واحد من أشعة العلم التى لا تدرى
تقولنا من كنهها الا قليلا : « واسروا قولكم أو أجهروا به أنه عليهم
بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

« وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر
وما تغشى من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب
ولا يابس الا فى كتاب مبين » .

السمع

عن عائشة رضى الله عنها : « الحمد لله الذى وسمع سمع
الاصوات » لقد جاءت المجادلة « خولة » الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى جانب البيت تحدثه ما اسمع ما تقول ، فانزل الله
عز وجل :

« لقد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله
والله يسمع تحاوركما . ان الله سميع بصير » .

أجل فما من كلام يدور بين الناس ، أو حديث يتجادبون
أطرافه الا سبق وقعه الى سمع الرحمن ، جل وعلا ، قبل أى شيء .

ولا تحسن أن الله حين يسمع نجوى جماعة يشغله ذلك عن
سماع قوم آخرين .

كلا ، فما يشغله شأن عن شأن ، وما تغيب عنه همسة وسعد الضجيج ، ولا تشتبه عليه لغة على اختلاف الألسنة .

انك - بالوسائل التي هدى اليها البشر - تجلس فى المشرق فتنتقل اليك محطات الاذاعة الأغاني والأحاديث من المغرب ، طارئة الأبعاد الشاسعة .

فما أدرانا بما وراء ذلك من أسرار الكون .

وما أيسر - فى منطق العقل - أن يشرف رب الكون بسمعته على كل حركة وسكنة فى الوجود تنبعث من مصدرها القريب ، ويسمع صوتها ويبصر وضعها ! . ان ربك يسمع كل صوت .

البصر

وكما أن الله يسمع كل شيء ، فهو يشهد كل شيء ، ورؤيته تنظر فى أعماق الظلمات فتستشف كوامنها .

فما هو بحاجة الى ضياء يبصر به الخفى ، أو مكبر يعظم به الدقيق .

إذا كنت ثالث ثلاثة ، فاعلم أن هناك رابعا يبصر ما تفعلون ، ويسمع ما تقولون .

« له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع . ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا »

عندما أرسل الله موسى وهارون الى فرعون : توجسا من طفيلانه
وقالا : « ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى » قال لا تخافا
اننى معكما أسمع وأرى » .

انه معهما ، ومع كل كائن ، من بدء الخلق الى قيام الساعة :
وما قبل ذلك وما بعد ذلك ، يسمع ويرى .

وهو — سبحانه — قد ركب فى وجوهنا هذه العيون التى نقرأ
بها ونكتب ، ونشهد بها مانشاء .

ولكن ما قيمة رؤيتنا هذه الى جانب الرؤية الالهية المحيطة
الشاملة .

لو أن كل ذى بصر انتظموا صفاء يستغرق محيط الأرض ، ثم
اجتهدوا فى رؤية ما حولهم ، ما أبصروا شيئا يذكر الى جانب
الرؤية الالهية التى تستوعب جميع المدركات ، من جميع الجهات ،
فى وقت واحد .

سواء فيها المستخفى بالليل والسارب بالنهار ، الخالى وحده ،
والبارز للناس .

« وما تكون فى شأن وما تلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل
الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه .. » .

والاحسان بهذه الحقيقة جزء من الدين ، بل هو قمته العليا :
« الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فإنه يراك »

الكلام

هو وسيلة للإبانة عما فى النفس من معارف ونصائح ودرجات
شتى ، وتفهم ذلك للآخرين .

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى مستحق لهذا الوصف « .
فقد عهد الى الوف من ملائكته ، بالقيام على شئون الاحياء
والامانة فى انحاء العالم العريض ، كما عهد الى الوف والوف منبه
بشئون شتى ، لا ندرى منها الا القليل .

وهذا التسخير الدائم خاضع لأوامر الله التى يتكلم بها . خفنا
ورزقا ورفعا وخفضا ، ومحوا واثباتا وتقديرا وتدبيرا . الخ .
ما حفل به علم الله فوق الحصر ، وما يدل على هذا العلم من
كلمات لانهاية له - كذلك .

أن أحدنا - فى مباشرة أعماله المحدودة - يحتاج الى قاموس
من الالفاظ فما ظنك برب العالمين ، وهو يحكم ملكوته اتواسع
العظيم ؟

ألا ترى أن كلامه من السعة والاستبحار على النحو الذى
يقول الله تعالى فيه :

**« ولو ان مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر مانفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » .**

**« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد
كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » .**

وكتب الله التى أنزلها على أنبيائه من مظاهر اتصافه جل شأنه
ب « الكلام » .

وقد كلم الله موسى تكليما وسوف يكلم كثيرا من عباده يوم القيامة
وأرسل الروح الأمين بختام الوحي الى صاحب الرسالة العظمى .
فكان القرآن الكلمة الأخيرة فى هدايات الله لعباده .

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع
العليم » .

أما حقيقة الكلام – كصفة الله – فلا نقصر فيها ولا نطيل ، لأننا
دون هذا المجال بكثير .

بيد أننا نجزم بأن الكلام الالهي ليس الفاظا تصنعها الشفتان
واللسان ، وتضبطها الرئتان والحنجرة والأسنان ، فذاك شأن
الإنسان لا وصف الرحمن .

النبوات

إذا كان الفكر الانسانى هو اللجوء الى الحدس والتخمين فى تعرف الحقائق العليا ، والاهتداء الى الصواب مرة ، والوقوع فى الخطأ ألف مرة .

فإن الفلاسفة هم بلا نزاع قادة الفكر الانسانى .

وإذا كان الفكر الانسانى هو الوصول الى تلك الحقائق من أقرب طريق ، والتقاطها ناضجة واضحة ، ثم تكريس الوقت للانتفاع بها فإن الأنبياء من غير جدل هم القادة الاصلاء للفكر الانسانى .

إن الرجال الذين اختارهم الله سفراء الى خلقه يؤدون رسالات عظيمة الشأن ، فهم يبلغون عن الله امورا لا يستغنى الناس قاطبة عن ذرة منها : العامة والخاصة سواء فى حاجتهم الى معرفة ما أنزل الله لهم على السنة أولئك المرسلين الكرام . نعم ربما وصل أولوا النهى الى بعض الحقائق التى ينقلها النبيون عن رب العالمين ، غير أن وصولهم الى جملة الحقائق التى لا بد منها لصالح الناس مستحيل .

والقليل الذى يوفقون الى فقهه يعبرون اليه جسورا من التجارب والمتاعب تستغرق السنين .

أما الاستماع الى الرسل والتلقى عنهم ، فهو يختصر تلك المتاعب الباطلة ، والتجارب الفاشلة ، ويقف الناس وجها لوجه امام

الحق الذى اليه يفتقرون ، ذاك يلفونه وحدهم بعد لآى اما
مالا يدركونه وحدهم أبدا ، فإن الرسل تلقيه بين الايدى جنى قريبا
ودواء ميسرا . وما على الناس بعد الظفر به ، الا أن يعملوا به .
ويمشوا فى حياتهم على سناه .

لقد كان من رحمة الله بعباده ان بعث اليهم بأنبيائه ، وأن
تعهد شتى الأعصار والأمطار بما أوتوا من تربية وحكمة .

والقرآن الكريم يعتبر كتاب النبوات القديمة كلها .

وفى صحائفه المصونة كل ما نزل به الوحي لهداية البشر :
راقامة مصالحهم فى المعاش والمعاد .

وهو الوثيقة العلمية الباقية لإثبات نبوة موسى وعيسى
وغيرهما .

فان الأسانيد الأخرى لا يعول عليها فى وجود أولئك الأنبياء .
فقد ذكر القرآن اسماء عدد كبير من الانبياء الذين تنزل عليهم
الوحي وكلفهم بالبيان عنه ، ثم قال لخاتم المرسلين : محمد بن عبد
الله صلى الله عليه وسلم :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده . .
وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى
وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً
قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك . وكلم الله
موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً » .

وقد كان الأنبياء نماذج جيدة فى التحدث عن الله بالسنتهم ،
وكانوا قبل ذلك وبعبده ، نماذج أجود فى جذب الناس الى الله بطيب

أنفسهم ، ونقاء معدنهم ، وصفاء سيرتهم ووصولهم فى مدارج الكمال الانسانى الى ذروة تزرع الاعجاب فى القلوب ، وتذرا لاتباع عتساقا لشمائلهم . فهم يضحون تحت أقدامهم بالنفس والنفيس عن رغبة عميقة ، وعن رضا كبير .

والمرسلون جميعا من هذا الطراز السامى وان كان محمد بن عبد الله خاتم النبيين قد أوتى فى هذا المصمار حظا من المجاهدة والشموخ ، لا يعرف لنبي من قبل .

ذلك لأن الخصائص المغيمة التى توزعت عليهم تجمعت فيه ، والحكم الكثيرة التى نطقوا بها لخصت فى كتابه .

فمن اراد اتباع عيسى فعليه بالقرآن .

ومتبع هذا أو ذاك لايسعه الا الايمان بمحمد وما جاء به محمد صلى الله عليه وعلى سائر اخوانه الأنبياء

الوحى

والوحى الذى تشرق به المعرفة على قلوب الأنبياء : انواع ومراتب : يبدأ بالرؤيا الصالحة فى النوم .

ورؤيا الانبياء ليست من اضغاث الاحلام التى تترجم بها النفس عن رغباتهم المكبوتة فى صور مهوشة او متقطعة كما يحدث لجماهير الناس . ان الكمال البشرى الذى وصل اليه النبيون يجعل قلوبهم يقظة ولو نامت أبدانهم !

وأفئدة الأنبياء كأجهزة الاستقبال المعدة لالتقاط الأنبياء
فى كل حين ، وكهرباؤها المتألقة تسجل ما يقذف الملك فيها ثم
تثبت تذييعه على الناس اجمعين .

وكانت الرؤيا الصادقة أول مطالع الوحي فى حياة محمد
صاحب الرسالة العظمى :

((وأول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح)) .
ومن الوحي عن طريق الرؤيا حدثت قصة اسماعيل ونزل الأمر بذبحه
((فلما بلغ معه السعى قال يا بنى : أنى أرى فى المنام أنى
أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبتي افعل ما تؤمر)) :

وقد يكون الوحي الهاما فى اليقظة بوساطة الملك ، ينضح به
المعنى على قلب النبى فيتكلم الحق .

وفى سنة النبى صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة لهذا الضرب
من الالهام ، سواء صرح بهذه الوساطة كما فى حديث : « هذا
رسول رب العالمين جبريل نفث فى روعى أنه لا تموت نفس حتى
تستكمل رزقها وان ابطأ عنها ، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب » .

أو طوى ذكر الملك وأرسل الحديث ارسالا كما فى سنن
أخرى ، وقد نزل القرآن كوحى بالفاظه ومعانيه جميعا ، فعلم منه
الرسول مالم يكن يعلم ، وكان حظ جبريل فى ذلك مجرد النقل
من لدن الخبير البصير .

((نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ،
بلسان عربى مبين)) .

وقد ينزل الوحي بتكليم الله لعبده مباشرة ومن غير وساطة
كما تم لموسى .

« فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة
من الشجرة أن يا موسى : انى أنا الله رب العالمين ، وأن القى
عصاك » .

بيد أن تكليم الله لأنبيائه أمر لاندري كنهه ، وليس على النحو
الذى نألفه بين المتخاطبين من تكاشف ومشافهة . بل كما قال الله
تعالى :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو
يرسل رسولا ، فيوحى باذنه ما يشاء انه عليم حكيم ، وكذلك
أوحينا إليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ، وأنت لتهدى
إلى صراط مستقيم » .

والتصديق بمبدأ الوحي ليس مما يتعاضم على العقول ادراكه
وشبه الماديين حوله تتساقط من تلقاء نفسها ، مادما قد اعترفنا
بأن الله الحق ، ووجوده فوق الريب ، وأن له جل شأنه أن يصطفى
من عباده من يبلغ عنه مراده ، ومن يتعهد به الأمم الشاردة .
ويخرجها من الظلمات الى النور !

حاجة العالم للرسل

وحاجة العالم الى الرسل ماسة ، فلو تركت أزمة الفكر الانسانية
للاجتهاد المحض ، لضل الناس رشدهم ، ولما اتفقوا على حقيقة واحدة
تصلح حالهم ومالهم .

ونحن ننظر فى تاريخ الأرض القريب والبعيد . فلا نجد مشابهة
تفرع اليها الشعوب . وتلتبس فى ظلالها الخير والبركة ، الاتعاليم
الأنبياء !

هذه التعاليم منها ما يعجز العقل عن ابتداعه لو ترك وحده !
ومنها ما يمكن أن يصل اليه بعد لاي وتجارب مريرة ، ومع
ذلك يكون تصوره له غامضا ، وفكرته عنه منقوصة .

ومن ثم فان بعثة الرسل كانت ضرورة انسانية لتجنيب العالم
متاعب الضرب فى بيداء طامسة .

وقد أدى الرسل واجبههم فى قيادة الفكر والقلب ، وورثوا
الأجيال المتعاقبة حقائق الايمان بالله ، سهلة غضة ، لا تحس وأنت
تتناولها من أيديهم الطاهرة ، بهذا الكلال العقلى العنت الذى يصاحب
دائما أفكار الفلاسفة فى تصويرهم لأسرار الوجود .

وكما عرفنا عن طريق الرسل مبدأ الايمان بالله ، عرفنا كذلك
الايمان باليوم الآخر وما يسبقه ويلحقه من حساب وثواب وعقاب ،
عرفنا ذلك على جبهة اليقين الجازم .

ولولا بلاغ الوحي . لعجز العقل المجرد عن فهم النهاية المرتقبة
لعمالنا الزاخر .

وظيفة الرسل

وليست وظيفة الرسل مقصورة على هذا الارشاد العقلى الى
حقائق الحياة !

بل انها تمتد الى تربية الأصحاب والاتباع على هذه المبادئ .
والتربية كالذوق شئ ليس فى الكتب .

إنها ليست حشو الأذهان بالمعلومات ، ولا قيادة الحياة بالأوامر الجافة .

بل أن التربية الدينية التي تولاهم الأنبياء ، وكتبوا بها صحائف في التاريخ ، تقوم على أحداث تغيير نفساني عميق ، يشبه تفسير الطين بعد نفخ الروح فيه .

ووظيفة الرسالة تقوم على اسداء العون والنصح للفرد والجماعة في كل ناحية !

فهو يسكب من طهارة قلبه على أضرار القلوب فيغسلها ، وهو يشعل من تألق عقله الأفكار الخابية فيضيئها ، ثم يعيشها هي الأخرى لتضيء وتهدي .

العصمة

حياة الأنبياء تحلق في مستوى من الكمال لا تهبط عنه أبدا .

ان مقام الاحسان - وهو آخر ما يصل اليه الناس بعد الجهد والمران - هو المرتبة الدنيا للأفق الذي يعيش الأنبياء فيه ، إذ يستحيل في حقهم أن يسقطوا دونه .

وقد قرر علماء المسلمين أن العصمة واجبة لرسول الله كافة ، فلا يليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها ، ولا تصدر من أحدهم صغيرة تخل بالمرودة أو تسقط الاعتبار .

وقد تقع منهم أخطاء يعاتبون من الله عليها ، ويوفقون الى الصواب فيها .

ولكن هذه الأخطاء لا تتصل بأمور اعتقادية ، أو خلقية مما
يعد الوقوع فيه أمرا شائنا .

بل مكان ذلك الأمور التقديرية التى تتفاوت فيها الأنظار
عادة من شئون الدنيا ، وسياسات الأمم .

وقد يعتبر الأنبياء أنفسهم مقصرين فى حق الله ، لأنهم أعرف
الناس به ، وبجلال ذاته ، وعظمة حقوقه على عباده ، وبقصور الهمم
مهما بذلت من الوفاء بما ينبغى له .

وإذا كانوا يعدون ذلك ذنوبا تتطلب الاستغفار ، فليس
استغفار الأنبياء عن مثل ما نقارف من خطايا ، أو نرتكب من
سيئات .

المعجزة

من حق الناس أن يسألوا كل رجل يقول : انه مرسل من عند
الله ، ما دليلك على صدق قولك ؟

فاذا قدم لهم الدليل المقنع على صحة رسالته قبلوه واستمعوا
له . وقد جاء صالح الى ثمود يخبرهم أنه نبي من عند الله : ثم
يصيح فيهم :

(فاتقوا الله وأطيعون ، ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين
يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) .

ولكن ثمود ردوا هذا النصيح وطالبوا صالحا بالبرهان على أنه
ليس شخصا عاديا .

(قالوا انما أنت من المسحرين ، ما أنت الا بشر مثلنا ، فأت
بآية ان كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) .

فكان طلب ثمود معقولا .

ولذلك جاءت الاجابة سريعة ، وكانت الطريقة التي وجدت وعاشت بها هذه الناقة خارقة لما تعارف عليه القوم ، ودل محياها على انه اثر لقدرة عليا لا لقدرة الناس المعتادة .

وهذا النوع من الاستدلال يقوم على تفهيم الناس أن الشخص الذى يحدثهم لا يمثل نفسه ، ولكن يمثل رب الأرض والسماء .

وقد فزع موسى الى هذا الدليل لما كذبه فرعون فى دعواه انه مرسل من رب العالمين ، وتهده . قال :

((لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ، قال : أولو جئتك بشيء مبين قال : فأت به أن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين)) .

وكذلك صنع عيسى عليه السلام عندما عرض نفسه على بى اسرائيل فنبأهم أنه رسول من عند الله تعالى ، ثم سرد أدلته على رسالته .

((انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بأذن الله ، وأبرئ الاكمه والأبرص وأحيى الموتى بأذن الله ، وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين)) .

وقد كان التحويل فى العصور الاولى على الخوارق المادية فحسب ، أما ما تضمنته الأديان من حقائق فكانت منزلته ثانوية .

حتى جاء الاسلام ، ففُض من شأن الاعجاز المادى ، ونوه بالاعجاز
العقلى والقيم المعنوية للرسالات ، وقرر الى جانب ذلك ان الخوارق
التي دعمت بها الديانات القديمة لم تمنع التكذيب بها أولا فلا معنى
لطلب التصديق بها أخيرا .

((وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون)) .

القرآن

ولذلك تقرر أن تكون المعجزة الكبرى لمحمد صلوات الله وسلامه
عليه هي هذا القرآن الكريم .

فيه كان التحدى ، وعليه كان الرسول يعتمد فى سيرته مع
خصومه ، وأصحابه طول حياته .

ومن بعده ظل القرآن كتاب الاسلام الناطق بدعوته وحيثه
معا . .

الا أن الحكمة الالهية اقتضت أن تبث فى طريق الرسول أنواعا
من الخوارق المادية التى أيد الله بها النبیین الأولین .

ولكن الدرجة الاولى فى هذه المعجزات كانت للقرآن الكريم .

النبوة والعبقرية

لئن كانت العبقرية امتدادا فى موهبة واحدة أو فى جملة
مواهب ، فالنبوة امتداد فى المواهب كلها ، واكتمال عقلى وعاطفى
وبنى وعصمة من الدنيا ورسوخ فى الفضائل ، وعراقة فى النبل
والفصل ؟

هم الرجال المصابيح الذين هم
كانهم من نجوم حية صنعوا
أخلاقهم نورهم من أى ناحية
أقبلت تنظر فى أخلاقهم سطعوا

فالذين يرشحون للنبوّة يصطفون لها اصطفاء ، قلوب نقيّة
تربطها بالملأ الأعلى أو أصر الطهر والصفاء ، وعقول حصيفة ناضجة ،
لاتنخدع عن حقائق الأشياء ، وأجساد مبراة من العلل الخبيثة ،
والأمراض المشوهة ، وصلة بالناس قوامها الخير والبر . ثم أن
الرسول أمناء على الوحي السماوى ، والهداية الاسلاميّة .

درجات الرسل

وأقدار الرسل تتفاوت سناء وسموا .

فالرسول فى قبيلة محدودة أفضل منه الرسول لمدينة فيهما مائة
الف أو يزيد ، وأفضل من هذا الرسول لشعب بأسره ، وصاحب
الكتاب المستقل أفضل ممن يحكم بشريعة سابقة !

ولا نزال نرقى فى مراتب العظمة ، ولا نزال نحلق نحو القمّة .
ولا نزال تقطع أشواطاً بعد أشواط فى مدارج الكمال البشرى حتى
نصل الى مستوى دونه تنحسر أبصار العباقرة مهماطمحت وتتطامن
عنده أقدار الأنبياء مهما عظمت ، لنجد صاحب الرسالة العظمى الى
خلق الله قاطبة ، ملتقى الفضائل المشرقة ، ومظهر المثل العليا التى
صورتها الخيالات ، ثم صاغها الله انساناً يمشى على الأرض مطمئناً .
ذلكم هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وذلكم هو منزله
بين عباقرة الأرض وأمناء الوحي .

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

ان الله عز وجل جمع فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من
شارات السيادة والنسالة ما تفرق فى النبيين من قبل .

ولقد ذكر الله اسماء ثمانية عشر نبيا فيهم اولوا العزم وأصحاب
رسالات الاولى ثم قال :

((أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فإن يكفر
بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين هدى
الله فبهم اهتداهم أفنته)) .

فمبلغ العلم فيه أنه بشر . وانه خير خلق الله كلهم

الايمان بالنبوات كلها

جعل الله عز وجل التصديق برسوله كلهم ركنا فى الدين ،
و قرن أسماءهم بذاته المقدسة ، فأصبح الايمان بهم متمم الايمان به .
((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله
وما أنزلت عليه وكتبه ورسوله ، لا نفرق بين أحد من رسله)) .

والايمان بمحمد رسول الله هو الشرط الثانى من شهادة
الاسلام ، لا يصح ايمان الا به .

والارتباط بالرسول ليس تعلقا بأشخاصهم من الناحية البشرية
المحنته ، بل هو ارتباط بالوحى الذى شرفوا به ، والاسوة التى
تؤخذ منهم . ومن ثم يقول الرسول الكريم :

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)) .

ثم أن الله لما ضم الايمان برسوله الى الايمان به ، جعل الكفر
بواحد منهم كفرا به جل شأنه ، وكفرا بهم جميعا :

((ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله و يقولون : نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ، اولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، اولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفورا رحيمًا)) .

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين ، اكمل الله به صرح النبوات ، واتم به حقيقة الرسالات ؟

((ان مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فانا اللبنة وانا خاتم النبيين)) .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ورحمة الله المهداة الى الخلق أجمعين .

المؤلف

رقم الايداع ٢٩٦٧/١٩٩١

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

